

مجمع الأمثال

2169 - أَصَحُّ مِنْ عَيْرٍ أَبِي سَيِّئَةٍ .

هو رجل من بني عدوَّان اسمه عميلة بن الأعزل وكان له حمار أسود أجاز الناس خالد عليه من المزدلفة إلى مذى أربعين سنةً وكان يقول : أَشْرَقُ ثَبِيرٌ كَيْمَا نَغِيرُ ويقول : .
لَاهُمَّ إِنِّي تَابِعُ تَبَاعَهُ ... إِن كَانَ إِثْمُ فَعَلَى فُضَاعَهُ (في أصول هذا الكتاب " لاهمَّ إني بائع بياعة " تحريف ما أثبتناه عن سيرة ابن هشام .) .
لاهَمَّ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ ... أَصْدَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ .
هَلَّا يَكَادُ ذُو الْبَغِيرِ الْجَلْعَدُ ... فَقِ أَبَا سَيِّئَةٍ الْمُحْسَدُ .
مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدُ ... وَمِنْ أَذَاةِ النَّافِثَاتِ فِي الْعُقَدِ .

اللاهَم حب بين نساءنا وبَغَضُ بين رِعاثنا واجعل المال في سُوءِ حَائِنَا وفيه يقول الشاعر :

خَلَّوْا الطَّرِيقَ عَنْ أَبِي سَيِّئَةٍ ... وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَةٍ .
حَتَّى يُجِيزَ سَالِمًا حِمَارَهُ ... مُسْتَقْبِلَ الْقَيْدِ لَا يَدْعُو جَارَهُ .
وكان خالد بن صَفْوَان والفضل بن عيسى الرِّقَاشي يختاران ركوبَ الحمير على ركوب البراذين ويجعلان أبا سَيِّئَةٍ لهما قُدْوَةً .

فأما خالد فإن بعض الأشراف بالبصرة تلقَّاه فرآه على حمار فقال : ما هذا المركب يا أبا صفوان ؟ فقال : عَيْرٌ مِنْ نَسْلِ الْكِدَادِ أَصْدَحَرَ السَّرَّ بِالْمَفْتُولِ الْأَجْلَادِ محملج القوائم يحمل الرحلة ويبلغ العقبة ويقل دأؤه وَيَخِفُّ دَوَاؤُهُ ويمنعني أن أكون جَبَّاراً في الأرض أو أكون من المفسدين ولولا ما في الحمار من المنفعة لما امتطى أبو سَيِّئَةٍ طهر عَيْرٌ أربعين سنة .

وأما الفضل بن عيسى فإنه سئل أيضاً عن ركوب الحمار فقال : لأنه أقل الدوابِّ مَوْئِنَةً وأكثرها مَعُونَةً [ص 411] وأسهلها جِمَاحاً وأسلمها صريعاً وأخفَّضُهَا مَهْوًى وأقربها مُرْتَقًى يزهي راكبه وقد تواضع بركوبه ويسمى مقتصداً وقد أسرف في ثمنه ولو شاء عُمَيْلَةُ بن خالد أبو سَيِّئَةٍ أن يركب جملاً مَهْرِيّاً أو فرساً عربياً لَفَعَلَ ولكنّه امتطى عَيْراً أربعين سنة فسمع أعرابي كلامه فعارضه فقال : الحمار شَذَارٌ والعَيْرُ عَارٌ مُذَكَّرُ الصَوْتِ بعيد الغَوْتِ متغرق في الوَحْلِ متلوث في الضَّحْلِ ليس بركوبَةٍ فَحْلٌ ولا مطية رَحْلٌ إن وقفته أدلى وإن تركته وَلَّى كثير الرِّوْثِ قليل الغَوْتِ سريع إلى

الفرارة بطيء في الغارة لا تُرفأ به الدماء ولا تُمَهَر به النساء ولا يـحلب في إناء .
قال أبو اليقطان : أبو سَيِّـارة أولُ من سَنَّ في الدَّيَّة مائةً من الإبل